صادفت مارا . ولم يكن عمياى قد وقعتا من قبل على الفئران . وقد لقنتني هذه الصداقة درسا مجزيا في الحب والوفاء .

كنت احيانا آخذ بعض الى الفراش كسرة من الخبز احتفظ بها تحت الوسادة ثم امضغها وانا اقرأ القصص الخيالي . وكانت والدتي قد نهتني عن هذا العمل . ولكني كنت اعلم انها على اية حال كانت تتوقع مني ذلك . وان اهتمامها الوحيد للأمر لا يتعدى الاحتفاظ بسريرها وما عليه نقيا ، ولهذا السبب لم اكن ابالي بالنصيحة .

وسرعان ما تبين ان الفار يفرض كسرة الخبز عندما اكون نائما . رأيته يفعل ذلك في صباح احد الايام . ومن حسن الحظ ، لم يكن قد اتسع الوقت لوالدتي لكي تعلمني الخوف من الفئران . وشئت ان يظل معي حتى استطيع ان اقتنيه كحيوان اليف . ودعوت الله في حماس ان يمنحه عمرا لا ينتهي له الشرك .

غير ان والدتي دلفت في ذات ليلة الى حجرتي وشاهدته وقال عندما رمى خط

انتهب بسرعة الحجرة « هيه ! ماهذا ! »

مقلت في سذاجة « مارا ! »

— ماهذا الذي شاهدته الآن يجري ثم يختفي ؟

— انا ... انا لم اشاهد شيئا . لقد وعدت ان تصلح لي حذاء الاسبوع !

وعبس والدتي وجلس على الفراش في بطء . ولم تمض لحظة حتى هب واقفا وفي عينيه وميض من الشر . واستطعت ان ادرك انه لم يعد ذلك الرجل الطيب الشغوف الموسيقى القلب .

انه الآن صياد شرس . لقد عرف مدخل الفار . كان ثقبا صغيرا على مقربة من احد الاركان .

وصاح كالوحش « اوهوه »

مقلت متسائلا — هل هناك شيء

مقال والدتي متجهما « آها »

ثم ركع وبطر داخل الثقب .

ودعوت الله في صمت « يالهي . لاتدعه يقتل الفار . العدل عدل . لقد استذكرت مرتين اشعار الانجيل المطلوب

من ان احطمها . ولابد انك ياالهي قد علمت ذلك . ووالدي هو والدي . وامي امه وامحله . ولكنك تعرف ياالهي كما اعرف ان الفار صديقي . »

وكانت هذه هي المرة الاولى التي اتصل فيها الى الله ان يحقق لي طلبا . ولم اكن واثقا تمام الثقة من حماسي وعاطفتي .

وحاولت ان اشغل والدي بالحديث مسألته في جماعة اخر ما تعلمت في المدرسة اليوم ؟

فاجاب والدي دون ان يلتفت الي قائلا « تعلمت القليل بلا شك . وهذا القليل اكثر ضررا من »

وحاولت كثيرا ان افكر في موضوع اخر تحدث عنه عندما تعثر والدي وقد امسك بالفه وهو يسبح .

ويبدو ان الفار حدس امه والدي الطويل . ولم انتبالك من الضحك وقلت « انك لتحسب ايضا لو ان احدهم دس امه في سبك » .

وحك والدي أنفه وعاد الى الفراش مرتبكا . ثم اخذ يصلح حذائي الحديدي بالاسلاك . وتنهدت في سعادة وقد حسبت انه تخلى عن صيده الوحشي .

ربما تخلى عن ذلك . غير ان الفار لم يتخل عن والدي . يالله من فار احمق! فعندما اصطجع والدي على الفراش، خرج الفار . ولم يتهادى خارجا فحسب بل وقف على قدمين ونظر الى والدي في عينيه هنوء ، وكانه يقول له «استمع الي . لم اقصد ان اجرح انفك . انه حادث عارض انا والولد صديقان . وليس من السهل ان تعثر في هذا العالم على صديق بمعنى الكلمة . انه شيء صعب بالنسبة الى ولد صغير . وشيء مستحيل بالنسبة الى فار . الا تستطيع ان تنهي من هذا النزاع بطريقة شريفة ؟ »

وللاسف . لم يفهم والدي المسكين . وهو الذي كان يفهم الكثير من الاشياء الصغيرة ، بالذي يعنيه الفار . ولم ير فيه الا حيوانا متوحشا . ولذلك اسرع نحوه . وكان الفار الذي بدا وكانه يعرف شيئا عن الطبيعة البشرية ذكيا حتى انه ولى الادبار مختفيا عن الانظار .

وفي اليوم التالي كانت عندك بعيدة بعضوة بها قطعة من الجبن . وسرقت قطعت الجبن باسم صداقتي للفار . لم اكن استطيع ان افعل شيئا سوى ذلك .

وفي اليوم الذي يليه قتل والدي عندما لاحظ انه ليس هناك جبن ولا فار، وهو يشير في غضب « آهاه ! ما اعجبه من فار ! ايه ؟ انه ياكل الجبن ، ومع ذلك يتحلى بالعيدة ! »

واشتد بعيني وحاولت الا ابدو على قدر ما استطيع من هيئة بلاك سدو صورته على شاشة سينما المدرسة يوم الاحد وقلت له

« مثل هذا الشيء يمكن حدوثه — من فار ماهر جدا »

ونظر والدي في عيني وقال في حزم « هذا غير ممكن . ولكن ماهو اكثر احتمالا ان يبعد سنى ذو راس احمر الجبن من العيدة .

سألته قائلا « ومن هو هذا الصبي الذي يمكنه ان يعمل ذلك ؟ »

فأجاب قائلا « سأحذر عليه من المرآة » .

ثم نهاني عن لمس الحصن، ولم يسمعني الا ان اطيعه .

ومرة اخرى ابتهلت الى الله من اجل الغار قائلا « يالهي العزيز ... لقد انقذت الغار مرة . وما أستطيع فعله بالطبع تستطيع فعله . فلماذا ارداد الامر سوءا ارجو ان تبعد الغار عن اغراء الحصن . لاتجعله ينقاد وراء هذا الاغراء بل خلصه من شر المصيدة .

ومع ذلك ، انتظرت والرعب يدب في قلبي ، نهاية صديقي المحتومة .

وصاحت والدتي في الامر قائلا « اذا كان للصديق تحققت من مدى اخلاصه، الا تقفين بجانبه عندما يرعب الآخرون في ايذائه ؟

وكانت امي تحيك ثقبا كبيرا بأحد جوارب والدي عندما اجابت متمتمة « بكل تأكيد » .

فصحت في استمرار « آهاه ! اذا لماذا لا بد من الامساك بالغار ؟»

وفتحت امي عينيها الواسعتين وعبست واقفة ، وقالت في عصبية « غار ؟ اي غار ؟ اين هو هذا الغار ؟ .

واحتضني والدي فتحته من الفيد ، ووضع جريدته جانبا ، ونظر الى « وعلى شفتيه ابتسامة رزينة . واستطعت ان ارى انى ارتكبت غلطة لاتغتفر . لقد كانت امي تخاف الفئران.

وقال والدي في هدوء « لدى الصبي غار من حجرته ... وهو يدعي انهما صديقان ... ولو ان الغار لم يقل شيئا عن ذلك »

فصاحت والدتي قائلة « اصبب المصيدة ! اصبب المصيدة ! »

فشرح لها والدي في صبر قائلا « لقد نصبت المصيدة . ولكن الغار نزع الجبن دون ان ... يتخطى المصيدة»

فقالت والدتي « هذا مستحيل » ثم التفتت الى قائلة « انهك عن ازعاجه الجبن . افاهم انت ؟ »

فوعدتها في حزن قائلا « لن ازعج الجبن . ولكن الجبان هو ذلك الذي يقف هناك وهو يشاهد امر اصدقائه يقتل بخدعة دنيئة »

ودهش والدي ومد ارنبك بمقص الشيء وقال « اصغ الى يافتى ! »

فجادلته قائلا « لقد قالت امي نفسها ان هذه الامور التي لا يأتيها المرء » .

فقاطعتني والدتي قائلة « الغار شيء مختلف »

فقلت « الصديق هو الصديق » فاني اردتها ان تحاربا صديقي ، فعلى الاقل يمكنكما ان تحاربا بطريقة عادلة ... وليس بالمسدس »

فصاح أبي قائلا « هراء ! يالاله السموات اتريد ان اصغ لفتى ذيلا وان امشي على يدي وركبتي ، ثم اعض الغار باسنانى ؟ »

وصعد أبي وعلب مصيدة ذات مطعم كبيرة جذابة من الجبن غير عادية وتمهدت ... واستطعت ان ادرك انه ليست ثمة فائدة . وانه ليس للغار من منقذ الآن سوى الله الكريم .

وعندما استيقظت في الصباح كانت قطعة الجبن لاتزال هناك ... فقفزت من

الفراش ، وركعت ، ودعوت الله قائلا « شكرا يالهي » ثم ارتديت ملابسي ومرلت وانا اقفز في طريقي لتناول طعام الفطور ، وكنت ادندن في بهجة .

واكلت البليلة وانا في منتهى السعادة . وما كدت انتهي منها حتى صدر صوت يحري موتنا .

سأل والدي : هل يمكن ان يكون النار ؟ »

وامسكت انفاسي ودعوت الله مرة اخرى . كانت والدتي مشغولة في عمل خير مقدد . ولم تعره بالها . وبعد لحظات حدث الحرى مرة اخرى ، وفي هذه المرة بدا كانه قريب جدا .

وسأل والدي في دهشة : « هل يعرف النار حتى طريق المزول ؟ »

ملم اجبه . وشغلت نفسي في وضع المربى على قطعة الخبز المقدد وما كدت انتهي من وضعها حتى شعرت كان شيئا رخوا قد لمس في قدمي ، فنظرت الى اسفل . كان النار هناك ، يزحف ، ويسايل ، ويجر نفسه جرا للوصول الى قدمي .

وعندما شاهد والدي صديقي هب واقفا في سرعة . ولم اكن اعرف ما الذي ينوي ان يفعله لعله كان يريد حماية والدتي . ولم يكن هذا بالشيء المهم . فمي مصنع ثوان تدحرج النار فوق قدمي بينما . غير انه لم يمت قبل ان يقول لي بعصبية شيئا .

وصعد والدي الى فوق ، ثم عاد يقول في حماسة ودهشة « عجبا ! قطعة الجبن قد رمت من المصيدة . ويبدو ان الفيدة قد تحركت وضربت النار في فكه ، تحملوا ذلك . فار يموت من ضربة قاضية على فكه » .

ولم يؤثر وجه العجب في . لقد كنت اعرف ان الفار كان شجاعا . ولكني كنت اجهل الكثير عن نفسي لقد تراءى لي ان الفار كان يقول لي بعينيه :

« اسمع كنت صديقك ، وقد قتلتني . ولكن اليك وجه العجب . اني لازلت صديقك . وقد اتيت لأموت تحت قدميك ، ولأسامحك . من السهل ان تحب اولئك الذين يشفقون عليك ، ومن الطاعة ولكن من الضروري ، ان تحب اولئك الذين يحذرون منك »

آه ، لعل الفار لم يكن يعني شيئا من هذا القبيل . ربما كل ما هو الذي يتحدث ، ويتعلم ، ويشب .

وسألت والدي في سرعة « اني هل هناك جنة للفار » ؟

فقال والدي في اسى « اجل . اجل هناك جنة لكل واحد . »

واحدث والدتي ، وكانت شاحبة « بعد هذا . لنستحضر قطا كبيرا حتى صامتة في اثناء المأساة ، تتكلم في رقة يمكن ان نبتعد عن مثل هذه الامور . »